المقاصد القرآنية للسرد القصصي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية تطبيقية

Quranic Purposes of Narrative in Holy Quran :An Applied Structural

هاني إسماعيل رمضان
كلية العلوم الإسلامية بجامعة غيرسون التركية
hany.ramadan@giresun.edu.tr

تاريخ الاستلام: 2019/10/19 تاريخ القبول: 2019/10/26 تاريخ النشر: 2020/01/05

ملخص البحث:

تهدف الدراسة إلى استقراء مقاصد السرد القصصي في القرآن الكريم، بالإضافة إلى أنماطها وسماتها، لا سيما أن السرد القصصي في القرآن الكريم جمع بين جمال المبنى وجلال المعنى، فقد انتهت الدراسة إلى أن مقصد الجمال الفني هدف مقصود لذاته في السرد القصصي للقرآن الكريم، وأن المقاصد تندرج تحت ثلاثة مقاصد كلية، هي: المقصد الجمالي، والمقصد العقدي، والمقصد التربوي.

كلمات مفتاحية: السرد، المقاصد القرآنية، القصص، القصة في القرآن.

ABSTRACT:

Every culture has defining stories which are widely important to group identity formation, and cultural transmission (values, goals, customs, beliefs, etc..) The Qur'an realizes that, and so transmits its message to its audience by a supreme literary style of narration.
The aim of this study is to explain the Quran's style of narration and its Purposes via these elements:
Narrative: introduction and aspects.
The Quran's Purposes behind that narrative.
Comparison between the Purposes of the Quran and literature in narrative.
Conclusion.

Keywords; Narration; The Quran's Purposes; Stories; Story in Quran.

1. مقدمة:

1.1 أهمية الدراسة:

يستحوذ السرد القصصي في القرآن الكريم على حيز كبير، فقد سرد القرآن الكريم –على سبيل المثال– قصص خمسة وعشرين نبيا ورسولا، بالإضافة إلى قصص الأقوام السابقين، مثل: قوم يونس، وأهل الكهف وأصحاب الأخدود، وغيرها من القصص الحافلة بالشخصيات التاريخية، وأحداث الأمم السابقة.

ولم يقف السرد القصصي في القرآن الكريم على أخبار الأمم السابقة وقصصهم، بل تجاوزها إلى أحداث الحاضر، وقت نزول الوحي، فأشار إلى قصص مرتبطة بأحداث وقعت في عهد النبوة، مثل القصص المرتبط بالغزوات كغزوة أحد والأحزاب، وتبوك وكحادث الإفك، وما شابه ذلك من أحداث جرت في عهد النبوة، واستشرف السرد القصصي في القرآن المستقبل وعبر عنه في جُملة من القصص كقصص اليوم الآخر، وأحداث آخر الزمان.

وبالتالي فإن القصة في القرآن الكريم استحوذت على الزمان، فبدأت بقصة بدء الخلق، وانتهت بقيام الساعة، ساردةً الماضي والحاضر والمستقبل، كما استحوذت على المكان، فشملت حيزًا مكانيا في القرآن بلغ الثلث على حد تعبير ابن تيمية، وقد وردت مادة (قصص) بشكل صريح في ستة وعشرين موضعا من القرآن الكريم.

وليس الحيز الزماني والمكاني فحسب هما ما يدلان على أهمية السرد القصصي في القرآن الكريم، بل شمول السرد لأغراض متنوعة هو ما أضفى عليه أهمية بالغة، لا سيما أنها امتزجت مع الأغراض الدينية، فخاطبت حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية على حد تعبير سيد قطب، وللقصة تأثير قوي في نفوس متلقيها، فهي تتمتع بقدرة بالغة على تشكيل الوجدان والعقول، لما تتناغم به مع الفطرة الإنسانية المولعة بالقص، فضلا عن تجنبها الخطاب المباشر الذي تأباه النفوس وتمجه العقول، والإسلام يدرك هذا الميل الفطري إلى القصة ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب فاستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم، فهذا التفرد للسرد القصصي في القرآن الكريم هو ما دفعني إلى اختياره حقلا لهذه الدراسة.

1.2 أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى استقراء المقاصد القرآنية للسرد القصصي في القرآن الكريم، استقراء يقوم على المزج بين العلوم الشرعية والدراسات الأدبية معًا، حتى يستضيء المبدعون من أصحاب الأقلام الواعدة، بمقاصد القرآن الكريم في السرد والأدب، ويتخذوا منها نبراسًا يسيرون عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: 38) فحتما قيم الحق والخير والجمال التي ينشدها الأدباء والمبدعون موجودة بين دفتي القرآن الكريم، «والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس، وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني، حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع تصفو النفس لتلقى رسالة الجمال.»[1]

لذلك كان التساؤل الرئيسي الذي تطرحه الدراسة، ما مقاصد السرد القصصي في القرآن الكريم؟

وهل جاء السرد القصصي في القرآن الكريم لغاية فنية؟ أم هل جاء عرضا أثناء تناول أغراض دينية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وقُسِّمت الدراسة إلى المباحث التالية:

- أولا: المقدمة.
- ثانيا: السرد القصصي: المفهوم والأنماط.
- ثالثا: خصائص السرد القصصي في القرآن الكريم.
- رابعا: المقاصد القرآنية للسرد القصصي.
- خامسا: خاتمة بأهم النتائج والتوصيات.

1.3 الدراسات السابقة:

بالرغم من أهمية القصص في القرآن الكريم لكنه لم يحظ بالدراسة المستقلة الكافية مقارنة بالحيز الذي يناله من مقاصد القرآن الكريم ومراميه، فقد اعتبره ابن تيمية ثلث القرآن، «إذ كان القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث: ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي.»[2]

فلم نجد علما مستقلا اسمه علم القصص القرآني، في حين نجد مثلا التوحيد علما مستقلا بذاته اهتم به العلماء قديما وحديثا تحت اسم علم الكلام، أو العقائد، أو الفلسفة الإسلامية، وكذلك الثلث الأخير ثلث الأمر والنهي الذي يدور عليه علم الفقه بمذاهبه المتنوعة، واجتهاداته المطردة، بينما ثلث القصص لم يلق الجهد نفسه، اللهم إلا جهود نادرة من القدامى كما فعل ابن كثير في قصص الأنبياء.

أما في العصر الحديث فقد جاءت كثير من الدراسات التي تناولت القصص القرآني، ومع غزارة هذه الدراسات فإنها لم تفرد لمقاصد السرد القصصي دراسات مستقلة، اللهم إلا ما جاء من فصول أو مباحث في هذه الدراسات، مثل: فصل القصة القرآنية في كتاب "التصوير الفني في القرآن" لسيد قطب[3] ويُعد العُمدة في القصص القرآني، والأدب الإسلامي عامة، وقد عرض لمجموعة من أغراض القصة القرآنية، وقد أفدنا منها لكنه لم يستوف استقصاء الأغراض، ولم يصنفها تحت مقاصد جامعة، إذ لم يكن هدفه سرد مقاصد القصة القرآنية، وإنما عرض جمالياتها.

ومن الدراسات الوافية في القصص القرآني كتاب "نظرات في قصص القرآن" لمحمد قطب عبد العال[4] وقد جاء في ثلاثة أجزاء، اشتمل الجزء الأول على فصل بعنوان أغراض القصة القرآنية، وهو فصل واف فصّل فيه الأغراض التي ذكرها سيد قطب وأضاف إليها بعض الأغراض، لكنه لم يحاول أن يصنفها تحت مقاصد أو أغراض جامعة.

وهناك أيضا مجموعة من الرسائل الجامعية مثل دراسة محمد طول "أسلوب السرد القصصي في القرآن"[5] ودراسة محمد مشرف خضر "بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم"[6] والدراستان تهتمان بالتحليل الأدبي للسرد القصصي تبعا لمنهج السرد البنيوي.

2. السرد القصصي: المفهوم والأنماط

يحتل السرد القصصي حيّزًا كبيرًا من القرآن الكريم، فقد وردت مادة (قصص) بشكل صريح في القرآن الكريم في 26 موضعا من القرآن الكريم، جاءت في موضع واحد منها بمعنى التتبع، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: 11) وجاءت في خمسة وعشرين موضعا منها بمعنى الحكي، نحو قوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: 176) وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف: 3).

وقد ذكر القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين نبيا مع الإشارة إلى قصصهم، كما أورد العديد من قصص السابقين وأخبارهم، وأشار –أيضا– إلى قصص مرتبطة بأحداث وقعت في عهد النبوة، لذلك اعتبر كثير من العلماء أن القصص تمثل ثلث القرآن الكريم

وبالرغم من أهمية القصص في القرآن الكريم «إذ كان القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث: ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي»[7] إلا أنه لم يحظ بالدراسة المستقلة الكافية، فنجد مثلا التوحيد علما مستقلا بذاته اهتم به العلماء قديما وحديثا تحت مسمى علم الكلام، أو العقائد، أو الفلسفة الإسلامية، وكذلك الثلث الأخير ثلث الأمر والنهي الذي يدور عليه علم الفقه بمذاهبه المتنوعة، واجتهاداته المطردة، بينما ثلث القصص لم يلق الجهد نفسه، اللهم إلا جهود نادرة من القدامى كما فعل ابن كثير في قصص الأنبياء.

يقصد بالسرد في المعاجم اللغوية التتابع، يقول ابن منظور في لسان العرب:

«السرد في اللغة تَقدِمة شيء إلى شيء تأتي به متسقًا بعضُه في إثر بعض مُتتابِعًا. سرد الحديث ونحوه يسرُده سردًا إذا تابعه، وفلان يسرُد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له، وفي صفة كلامه –صلى الله عليه وسلم– لم يكن يسرُد الحديث سردا، أي يتابعه ويستعجل فيه. وسرد القرآن: تابع قراءته في حَدر منه.»[8]

وفي الاصطلاح يعرفه جيرالد برنس (Gerald Prince) صاحب المصطلح السردي فيقول: «السرد الحديث أو الإخبار (كمنتج وعملية وهدف وفعل وبنية وعملية بنائية) لواحد أو أكثر من واقعة حقيقية أو خيالية (روائية) من قِبَل واحد أو اثنين أو أكثر (غالبًا ما يكون ظاهرًا) من الساردين وذلك لواحد أو اثنين أو أكثر (ظاهرين غالبًا) من المسرود لهم.»[9]

ويعرف مانفريد Manfred Jahn السرد بأنه «وسيلة اتصال تعرض تتابع أحداث تسببت فيها أو جربتها الشخصيات.»[10]

وفي تعريف مانفريد تتضح جليا المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للسرد، فالتتابع في قَصِّ أحداث القصة، هو المحور الرئيسي الذي يرتكز عليه المعنى الاصطلاحي، والذي استُمد من المعنى اللغوي للفظة السرد، وعليه فإن السرد بمفهومه الاصطلاحي يتمحور في طريقة القص، وكيفية الحكي، وبالتالي يمكن إيجاز تعريف السرد في أنه "طريقة القص" أو "كيفية الحكي"، لذلك عرفته آمنة يوسف بأنه «شكل المضمون أو شكل الحكاية»[11] بيد أن كلمة شكل توحي في الدراسات النقدية والأدبية بالشكل الفني: رواية، قصة، مسرحية، إلخ، بينما الطريقة أو الكيفية تشير إلى البناء والأداء دون الشكل والمظهر.

والحكي عامة يتكون من عنصرين رئيسيين:

أولهما: قصة تضم أحداثا معينة.

وثانيهما: الطريقة التي تُحكى بها هذه القصة.

ينصب اهتمام السرد على العنصر الثاني دون الأول، إذ يهتم بالطريقة التي تحكى بها القصة وبدراسة الكيفية التي تُروى بها، «وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها.»[12]

ولأن القصة بصفة عامة تكون محكية فإنه يُفترض وجود شخص يَحكي، يسمى ساردًا أو راويا، وشخص آخر محكيّ له، يسمى مسرودا له، أو مرويا له، والسرد هو القنطرة التي عبرها تنتقل أحداث القصة بين الطرفين، أو بمعنى آخر هو قناة الاتصال بين السارد والمسرود له، وبهذا الاعتبار يمكن تحديد مكونات السرد على النحو التالي:

السارد/الراوي ← المسرود/القصة ← المسرود له/المروي له

فالطريقة التي تنتقل بها القصة أو الحكاية بين المكونات الثلاثة هي السرد، وغالبا ما يجري الحكي بصورة موضوعية من خلال المؤلف أو من خلال إحدى الشخصيات المشاركة في أحداث الرواية، ولقد قام الشكلانيون الروس بتقسيم أنماط السرد بناء على طريقة الحكي إلى نمطين رئيسيين: «سرد موضوعي، وسرد ذاتي، ففي نظام السرد الموضوعي، يكون الكاتب مطلعا على كل شيء، حتى الأفكار السرية للأبطال، أما في نظام السرد الذاتي؛ فإننا نتتبع الحكي من خلال عيني الراوي –أو طرف مستمع– متوفرين على تفسير لكل خبر، متى وكيف عرفه الراوي –أو المستمع– نفسه»[13]

وتتفرع من هذين النمطين تقنيات السرد المختلفة، فعلى سبيل المثال تتجلى تقنية الراوي العليم –الذي يمتلك قدرة غير محدودة للاطلاع على الأحداث والأسرار– في السرد الموضوعي معتمدا على تقنية (الرؤية الخارجية) التي تقدم الأحداث والشخصيات بحيادية وصفية، بينما تتجلى تقنية الراوي المصاحب الذي يضفي انطباعاته ووجهة نظره على الأشخاص، مستندا إلى تقنية (الرؤية الداخلية) التي تمكنه من سرد الأحداث والوقائع التي شارك فيها دون غيرها.

وقد يمزج المؤلف بين النمطين السرد الموضوعي والسرد الذاتي، وفي هذه الحال تنتج تقنيات ورؤى جديدة، مثل الرؤيتين الثنائية والمتعددة، والرؤية الثنائية هي الرؤية «الناتجة عن امتزاج رؤيتين، هما الخارجية والداخلية، والرؤية المتعددة هي الرؤية التي تتنوع فيها الرؤى وتختلط وتتشابك فيتلون بها السرد»[14] مع التأكيد بأن بنية النص السردي الواحدة قد تجمع بين أكثر من رؤية، سواء على التوالي أو التوازي، وقد تتناوب الرؤى، كل هذا على حسب

المقتضيات الفنية أو على حسب وجهة نظر المؤلف في توظيف هذه الرؤى في البناء الحكائي، وطبقا لاحتياجات المتن الحكائي.

ويجدر التأكيد هنا أن النص السردي يتألف من عنصرين رئيسيين، هما المتن الحكائي والبناء الحكائي، طبقا لتسمية الشكلانيين الروس، أو القصة والخطاب، طبقا لتسمية تودوروف Todorov والمتن الحكائي هو «مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل ... وفي مقابل المتن الحكائي يوجد المبنى الحكائي الذي يتألف من نفس الأحداث، بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل، كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعيّنها لنا.»[15]

وبالتالي فإن المتن الحكائي هو محتوى القصة ومضمون الأحداث التي جرت في الواقع، والتي يمكن عرضها بطريقة عملية أو بطريقة فنية، فالهدف من المتن الحكائي استعراض ما أنجزته الأشخاص، أو عرض ما جرى من وقائع، في حين أن المبنى الحكائي يقصُد إلى الطريقة التي تُعرض بها الأحداث أو الأشخاص؛ «ذلك أن القاص أو الروائي ليس من الضروري أن يتقيد بالترتيب الزمني والحدثي للقصة كما جرت في الواقع (أو كما يُفترض أنها جرت في الواقع) فهو يعمد إلى التقديم والتأخير، والتلاعب بالمشاهد.»[16] وغير ذلك من أساليب فنية وتقنيات سردية تضفي على النص السردي قيمًا جمالية، وهو ما يتيح للمتن الحكائي إعادة إنتاجه بشكل غير متناهٍ، ويسمح بتكرار صياغته بشكل متفرد.

ولا بد أن يوضع في الاعتبار أن السرد «يهتم بالبحث في طريقة عمل النصوص السردية أكثر من تعليمنا كيف ننجز أو نكتب نصوصا سردية.»[17] فالسرد لا يهدف إلى وضع القواعد الضابطة للحكي التي ينبغي أن تتوفر في الأعمال الأدبية والفنية، خاصة القصص والروايات، إنما يهدف إلى «محاولة العثور على مجموعة القواعد المفسرة لظواهر الحكي»[18] وثمة فرق شاسع بين التفسير والتقعيد، فإن السرد لا يفرق بين عمل أدبي وعمل شعبي، أو رواية شفوية أو رواية مطبوعة، وذلك ما يفسر اتساع دائرة الدراسة التي يهتم بها السرد، وتنوع ميادين اهتماماته وحقول عمله.

تتنوع أشكال السرد بتنوع أشكال الحكي الشفهية والكتابية، وبالتالي فإنه من الصعوبة حصر أجناس السرد وأنواعه، لا سيما أن السرد ظاهرة إنسانية تضرب جذوره في أعماق التاريخ الإنساني، وتبدأ مع بداية الجنس البشري، «ولا يخلو تراث أي لغة من ظواهر سردية نطلق عليها تسميات مختلفة؛ فنسميها قصة أو رواية أو حكاية شعبية أو أسطورة، أو مقامة، أو غير ذلك مما قد لا يتأتى حصره بسبب عمق تاريخ السرد وتنوع أنماطه في الثقافات المختلفة»[19] فالإنسان منذ فجر التاريخ مولع بسماع القصص، وإن اختلفت أشكالها أو تنوعت أسماؤها، حتى إن الأم عندما تحتاج إلى أن تهدئ من روع وليدها أو تجعله يخلد للنوم تحكي له قصة بصوت رخيم، أو نغم شجيّ.

لذلك يمكن القول بأن السرد لا يقتصر على الأعمال الروائية والأدبية فحسب، بل يتجاوزها إلى المحادثات اليومية مرورا بالحكايات والسير والملاحم، وما شابه ذلك، «فإن نصوصا قد لا تكون مهمة من قبيل: قام الرجل بفتح الباب، والسمكة الذهبية ماتت، والكأس سقطت على الأرض؛ تعتبر سردًا»[20] وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، «فإن السرد يحضر في كل الأوقات وفي كل الأماكن وفي كل المجتمعات.»[21]

لهذا كان تقييد السرد –في عنوان الدراسة– بوصف القصصي تمييزًا له عن أجناس السرد المتنوعة واللامتناهية، حيث إن الدراسة ستقتصر على شكل السرد القصصي دون غيره نظرا لما يحتله من حيز، إذ يمثل ثلث القرآن الكريم كما ذكرنا آنفا، ونظرا لأنه يعالج الجانب الوجداني والنفسي بعيدا عن الخطاب التكليفي المباشر.

وينقسم السرد القصصي في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: يتناول قصص الأنبياء والرسل، والمعجزات التي أجراها الله تعالى على أيديهم، وموقف أقوامهم من الدعوة والمعجزات، كقصة سيدنا نوح وإبراهيم، وموسى عليهم السلام.

الثاني: يستعرض قصص الغابرين من غير الأنبياء والرسل، مثل: قصة أصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل، وأهل الكهف.

الثالث: يرتبط بأحداث وقعت فترة الوحي، ونزول القرآن الكريم، كالقصص المرتبط بالغزوات، مثل: غزوة بدر وأحد، وحنين وتبوك.

والقصة في أبسط تعريف لها هي «أُحدوثة شائقة، مرويّة أو مكتوبة، يُقصد بها الإمتاع أو الإفادة»[22] وهذا التعريف تعريف جامع غير مانع على حد قول المناطقة، فهو يشمل كل أنواع القصص، وإن كان لا يمنع دخول أشكال أخرى، فاندرج تحته الحكاية، والخبر، والرواية، والقصة القصيرة، والخرافة، والأسطورة، «والقصة من بين كل مراكب السرد، هي لغة مترابطة بانتظام، سواء كانت شفاهية أو كتابية، صورا متحركة أو ثابتة، إيحائية، أو خليطا منظما من كل تلك المواد.»[23]

ويتقاطع المعنى اللغوي للقصة والسرد في التتابع، إذ أن أحد معاني القص التتابع، كما ورد في لسان العرب «قَصَصْت الشيء إذا تتبّعْت أَثره شيئا بعد شيء؛ ومنه قوله تعالى: وَقالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ، أي اتبعي أثره.»[24]

3. خصائص السرد القصصي في القرآن الكريم:

قبل الخوض في استقراء المقاصد القرآنية للسرد القصصي في القرآن الكريم؛ ينبغي أن نوضح الفرق بين السرد القصصي في القرآن والسرد القصصي في الإبداع البشري، فلكل منهما طبيعته الخاصة، وسماته الفارقة، فإن كانا يلتقيان في جانب فإنهما يفترقان في جوانب أخرى، وإن كانت الدراسة العلمية تسمح بالتعامل مع النص القرآني الكريم باعتباره نصًّا لغويا، كما في حالة علماء السلف من لغويين ومفسرين الذين تناولوا الدرس القرآني على المستوى اللغوي والدلالي والبلاغي، وأظهروا إعجازه، وتصدوا للشبهات المطروحة حوله، إلا أن هذا لا يعنى التغافل عن خصوصية النص القرآني، أو تجاوز قدسيته تحت أي مبرر مهما كان.

ومن العلامات الفارقة في التعامل مع السرد القصصي في القرآن الكريم وغيره من حقول السرد البشري؛ أن التعامل مع السرد القصصي في القرآن الكريم ينطلق من باب التحليل والتفسير، واستجلاء القيم الجمالية والأنساق المعرفية لنص لغوي مجزوم بإعجازه البياني، وتفرده الدلالي، بينما التعامل مع السرد القصصي في غير القرآن ينطلق من باب التحليل والتقييم، تحليل النص لاستجلاء القيم الجمالية قد تتأتى في النص وقد تستعصى على النص فتخلو منه، ولاستنطاق الأنساق المعرفية الدلالية لتقييمها والحكم عليها بالسلب أو الإيجاب، على عكس النص القرآني المحكوم عليه بالإيجاب سلفا، ولا يحتاج إلى تقييم، فهو نص يعلو ولا يُعلى عليه.

وعلو النص وسمو منشئه سمة أخرى من سمات النص القرآني، أحد ملامح خصوصيته، فهو نص سماوي، أبدعه فاطر السموات والأرض، ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: 42).

ومن هذه الآية نستنتج أمرين مهمين، ينبغي مراعاتهما عند التعامل مع السرد القصصي.

أولهما: أنه تنزيل من حكيم حميد، فالمبدع هو الله العلي الأعلى.

ثانيها: أن السرد القصصي في النص القرآني موسوم بالصدق الفني والواقعي، لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وإن كان السرد القصصي –بما أنه نص قرآني– مشمولا بالآية المذكورة سلفا؛ إلا أن القرآن الكريم أكد في آيات أخرى هذا المعنى فقال سبحانه وتعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ (الكهف: 13) وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ

الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: 62) وقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (الأنعام: 57)

وبالتالي فإن السرد القصصي في القرآن الكريم سرد يتصف بالحق على خلاف السرد القصصي البشري، الذي «أيًّا كان نوعه يدخل فيه ما هو صالح في موضوعه وعرضه، وما هو طالح في موضوعه وطريقة صياغته، أو تحريف أصوله»[25] ومهما كان السرد البشري يتحرى الصدق والدقة فإن الخطأ والنسيان واردان، إذ الكمال لله وحده، غير أن نسبتهما تتفاوت في السرد البشري من سرد إلى آخر دون أن تنعدم بالكلية.

ويترتب على هاتين السمتين أن السرد القصصي في القرآن الكريم في مجمله وتفاصيله المصدر الرئيسي والأساسي لإدراك قيم الحق والجمال والخير، تلك القيم التي يسعى إليها الأدب والفن ولمّا يدركاها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بقبس قرآني، يُسترشد به، وهو ما تحاول هذه الدراسة إبرازه، من خلال تأصيل المقاصد القرآنية للسرد القصصي، نظريا وتطبيقيا، علّها تعين المبدعين من كتاب السرد القصصي بتنوعاته المختلفة من رواية، وقصة قصيرة، وخاطرة، وسيرة ذاتية، ونحو ذلك؛ على استلهام المقاصد القرآنية والسير في فلكها، خاصة أن هذه المقاصد جمعت بين المقاصد الجمالية الفنية والمقاصد العقدية والتربوية معا، كما سيتضح في المبحث التالي.

4. مقاصد السرد القصصي في القرآن الكريم:

جاء في معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية[26] أن القصد لغة: الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء، وفي اصطلاح الفقهاء: هو العزم المتجه نحو إنشاء فعل، وقصد الأمر: توجه إليه عامدا، والمقصد موضوع القصد. وعلى هذا فإن المقاصِد جمع مقصِد بكسر الصاد اسم مكان، فقد جاء في المعجم «قصدت الشيء وله وإليه قصدا من باب ضرب طلبته بعينه وإليه قصدي ومقصَدي بفتح الصاد واسم المكان بكسرها نحو مقصِد معين.»[27]

وفي الاصطلاح تعددت تعريفات المقاصد، وتنوعت بين الإسهاب والإطناب من ناحية وبين الاختصار والإيجاز من ناحية أخرى، فمصطلح المقاصد مصطلح حديث نسبيا، حيث «إن الكثير من علماء الأصول ومن خاضوا في علم المقاصد من القدامى السابقين؛ لم يحددوا تعريفا واضحا للمقاصد، إنما كان لهم استعمالات واصطلاحات واضحة ومطولة، وكانوا يعبرون عنها بتعبيرات مختلفة.»[28]

أما المعاصرون من الباحثين والعلماء فقد تنوعت تعريفاتهم وتعددت ألفاظهم، وإن لم تخرج في جملتها عن المعنى اللغوي للمقاصد، وقد سرد الجندي في كتابة أهمية المقاصد في الشريعة جملة من هذه التعريفات قديمها وحديثها[29]، وانتهى إلى أن التعريف الأنسب والمختصر للمقاصد –من وجهة نظره– «أنها المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية في العقائد والعبادات والمعاملات، التي تحقق العبودية لله تعالى ومصلحة الخلق في الدارين.»[30]

في حين اختارت الموسوعة الفقهية الكويتية تعريف الطاهر بن عاشور «بأنها المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تُختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة.»[31]

ومن الملاحظ أن كلا المصطلحين يدوران في فلك المعاني والحكم الملحوظة للشارع، وهو ما يتوافق مع الدلالة اللغوية لمصطلح المقاصد، وهو ما يؤهل هذه الدراسة لأن تندرج تحت مظلة هذه المعاني والحكم الملحوظة للشارع، وإن كانت قد اقتصرت على المعاني الملحوظة في حقل السرد القصصي في النص القرآني بيد أن هذا التحديد المنهجي لا يخرجه عن مفهوم المقاصد.

فالمقاصد بمفهومها العام تندرج تحتها جملة من المقاصد الإجمالية والمقاصد التفصيلية، التي تشتمل بدورها على المقاصد الكلية والمقاصد الجزئية، والمقاصد الخاصة، «وبين هذه وتلك نستطيع أن نبحث ونتحدث عن المقاصد الخاصة بالمجالات والأبواب التشريعية، بناء على مالها من خصوصيات، فنتحدث عن مقاصد الشريعة في

العبادات، في المعاملات المالية، في العلاقات الاجتماعية، في العادات، في المناكحات، في الولايات العامة، في العقوبات، في العلاقات الدولية، في الجهاد والقتال، في الأخلاق والآداب، فكل باب من هذه الأبواب يمكن أن تكون له مقاصد خاصة به، ليست عامة في كل أبواب الشريعة.»[32]

من الصعوبة بمكان حصر مقاصد السرد القصصي في مكان، فهي تتنوع بتنوع أغراض القرآن الكريم، وتتسع باتساع مقاصده، ولا سيما أن السرد القصصي يحمل العديد من الإيحاءات والإشارات التي يُمكن استنباطها من الأحداث الواردة أو مواقف أشخاصه، فضلا عن الموضوعات الصريحة، والمعاني المباشرة «فإثبات الوحي، والرسالة، وإثبات وحدانية الله، وتوحد الأديان في أساسها، والإنذار والتبشير، ومظاهر القدرة الإلهية، وعاقبة الخير والشر، والعجلة والتريث، والصبر والجزع، و الشكر والبطر، وكثير غيرها من الأغراض الدينية، والمرامي الخلقية، قد تناولته القصة، وكانت أداة له وسبيلا إليه.»[33]

ولكن المتأمل في القرآن الكريم والقصص الوارد فيه يجده ينطوي تحت ثلاثة مقاصد كُلِّية، تضم عددًا يصعب استقصاؤه من المقاصد الجزئية والخاصة، هذه المقاصد الكلية هي:

-المقصد الجمالي.

-المقصد العقدي.

-المقصد التربوي.

مع ملاحظة أن القصة الواحدة قد تجمع بين المقاصد الثلاثة كلها، وليس بالضرورة أن تنفرد قصة بمقصد دون آخر، بل العكس هو الصحيح، إذ إن المقصد الجمالي عامل مشترك في جميع السرد القصصي للقرآن الكريم، فلا تخلو قصة من قصص القرآن الكريم منه، على مختلف صوره وأشكاله، وفي نطاقه تدخل كل الدراسات الأسلوبية والأدبية للقصص القرآني، إذ جميعها ترمي إلى استكشاف جماليات السرد القصصي في القرآن الكريم.

أما المقصدان العقدي والتربوي فغالبا ما يتحدان، إذ إن كل مقصد عقدي في شكل من أشكاله مقصد تربوي، يسعى في جانب من جوانبه لتغيير سلوك أو تقويم خُلق، بيد أن المقصد العقدي ينصب على تأكيد مفهوم التوحيد، وهو من هذا الجانب مقصد أيديولوجي، بينما المقصد التربوي يهدف في الأساس إلى تعزيز القيم الأخلاقية، وإبراز مجموعة من السلوكيات القويمة، مع التركيز على تقويم الجانب السلبي من التصرفات، وهو من هذا الجانب مقصد إنساني مشترك، لا ينحصر في أيديولوجية، وإن كان في الواقع يستند إليها.

وبناء على ذلك يمكن تقسيم مقاصد السرد القصصي في القرآن الكريم على النحو السابق، والآن نعرض بشيء من التفصيل لكل مقصد على حدة.

4.1 المقصد الجمالي للسرد القصصي في القرآن الكريم:

بين المتعة والمنفعة تتباين وجهات نظر المدارس النقدية حول الغاية من الفنون والآداب بصفة عامة، والسرد القصصي بصفة خاصة، ولكن لا تخرج هذه المدارس في مجملها، ابتداء من عصر اليونان إلى العصر الحديث؛ عن هاتين المقولتين، «وقد كان تاريخ فلسفة الفن تسجيلا للمواقف التي تتوزّعها هاتان المقولتان، فمن أديب ينتهي إلى أن الفن متعة، إلى مفكر يخلص إلى أن الفن منفعة.»[34]

وفي العصر الحديث جرى التوفيق بين المقولتين بالتأكيد على أن الأدب والفن يجمعان بين المتعة والمنفعة معا، فليس بالضرورة أن يكون الأدب متعة خالصة تهدف إلى تحقيق اللذة فقط دون المنفعة، وبالمقابل لا ينبغي أن يكون الأدب منفعة خالصة تقوم بالتعليم والتلقين، «فإذا كان لعمل أدبي أن يؤدي وظيفته بنجاح، فإن صفتي

المتعة والفائدة لا تقتصران على مجرد التلازم، وإنما تندمجان كليا»[35] فلا يمكن الفصل بينهما، بحيث تستمتع حين تكتسب المعرفة، وبحيث تتعلم حين تستمتع.

وهنا ينبغي التأكيد على أمرين، حتى لا يلتبس الأمر وندخل في دائرة الجدل النقدي، ونعود إلى النقطة صفر حول وظيفة الأدب والفنون.

هذان الأمران هما طبيعة المتعة وطبيعة المنفعة في الأدب، فطبيعة المتعة في الأدب والفن أنها متعة راقية، متعة عقلية وليست حسية، «لأنها تأتي عن طريق نشاط سام، وهو التأمل المنزه عن الغرض»[36] وفي المقابل فإن منفعة الأدب والفن منفعة ممتعة، وإن جديته في التعليم جدية فنية «لأن جدية الأدب تختلف عن جدية الواجب الذي لا مناص من أدائه، أو الدرس الذي ينبغي تحصيله، فهي جدية جمالية»[37] تُدرَك بالشعور والعقل الباطني من جانب، وتكون طواعية لا إجبارية من جانب آخر، وهو ما يجعل تأثيرها أعمق أثرا من التعليم المباشر.

وهذه الثنائية بين المتعة والمنفعة هي التي جعلت السرد القصصي يتربع في فطرة النفس البشرية، ويحتل هذه المكانة في وجدانه، فالإنسان مولع بسماع القصص، مهما اختلف مستواه الثقافي أو الفكري، ومهما كان عمره صغيرا أو كبيرا، «والإسلام يدرك هذا الميل الفطري إلى القصة ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب فاستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم»[38] وهو ما يتجلى في المقصد الثاني من المقاصد القرآنية للسرد القصصي.

كما يتجلى المقصد الأول، المقصد الجمالي الذي يحقق المتعة الفنية، بشكل صريح في سورة يوسف، فهي السورة الوحيدة التي عرضت قصة سيدنا يوسف عليه السلام، فلم تذكر هذه القصة في سورة من قبل، ولم تتكرر في سورة من بعد، في حين باقي قصص الأنبياء جاء موزَّعا على السور، وتكرر بعض القصص القرآني في أكثر من موضع، «فإن الدارس للقصص القرآني يلحظ ظاهرة واضحة هي أن القصص الطويل يتوزع على مشاهد عديدة، وتتوزع المشاهد هذه على سور عديدة في القرآن، فقصة موسى عليه السلام وزعت في حوالي ثلاثين سورة.»[39]

ولعل الغاية في سرد قصة يوسف عليه السلام بتمامها في سورة واحدة هو تحقيق المتعة الفنية واللذة الجمالية، وهو ما يبدو واضحا في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف: 3) ويؤيده ما ورد في أسباب نزول السورة، بأنها جاءت تلبية لطلب الصحابة في الاستماع للقصص، فقد ذكر النيسابوري[40] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال:

أُنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت، فأنزل الله تعالى: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إلى قوله: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ... الآية، فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى: الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا.

فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم يميلون بفطرتهم إلى القصص، ويعبرون عن حاجتهم إلى سماعها، لذا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يقصَّ عليهم، لأن النفس البشرية تحتاج إلى الترويح والترفيه المباح الذي يستهويها ويدغدغ مشاعرها.

ويتضح بشكل مباشر المقصد الجمالي للقصة في الرواية التي رواها أيضا النيسابوري عن عون بن عبد الله، فقد صرحت الرواية بشعور الصحابة بالملل ورغبتهم في الترويح عن النفس بسماع القصص، فقد قال عون بن عبد الله ما لفظه:

«ملَّ أصحاب رسول الله مَلَّةً فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله تعالى: الله نزل أحسن الحديث... الآية، قال: ثم إنهم ملوا ملة أخرى فقالوا: يا رسول الله فوق الحديث ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله تعالى: نحن

نقص عليك أحسن القصص. فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص.»[41]

ولا ريب أن أحسن القصص ليس مقصورا على قصة سيدنا يوسف، وإنما مقصود به كل القصص المذكور في القرآن الكريم «فكل قصص في القرآن هو أحسن القصص في بابه، وكل قصة في القرآن هي أحسن من كل ما يقصه القاص في غير القرآن، وليس المراد أحسن قصص القرآن حتى تكون قصة يوسف عليه السلام أحسن من بقية قصص القرآن كما دل عليه قوله: بما أوحينا إليك هذا القرآن.»[42]

ومن ثم ما ينطبق على سورة يوسف عليه السلام من مقصد جمالي في تحقيق اللذة المعنوية والمتعة الفنية ينسحب بالضرورة على باقي قصص القرآن بالتبعية لقوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ (يوسف: 3) فالحسن بشقيه الجمالي والنفعي ملازم لكل القصص القرآني.

ونستنتج من هذا أن المتعة الفنية في السرد القصصي مقصد في ذاتها، وغرض مقصود في نفسها، تهدف إلى إثارة اللذة المعنوية والترويح النفسي لدى مستمعي القرآن، ولم تكن مقصدا ثانويا جاء عرَضًا أثناء سرد أخبار أو عرض وقائع، بل جاءت إشباعا لرغبة الصحابة في الاستمتاع والتمتع بالقصص، وتلبية لميولهم النفسية، مع عدم إغفال الجانب التربوي والدعوي بطبيعة الحال.

وما يؤكد أيضا أن المقصد الجمالي للسرد القصصي للقرآن الكريم كان غرضًا مقصودًا لذاته؛ أنه كان ميدانا للتحدي بين القرآن وأهل مكة الذين كانوا يفتنون بالسرد القصصي وسماعه، ويتخذونه وسيلة للصد عن القرآن وسماعه، فقد روت المصادر أن النضر بن الحارث «كان يخرج تاجرا إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشا ويقول لهم: إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.»[43]

والشاهد في هذا أن أهل مكة كانوا يستملحون ويستمتعون بسرد النضر ومن على شاكلته من القصاص، فجاء القرآن بالقصص، وعلى رأسه سورة يوسف؛ تحديا لهم فيما برعوا من فن، وفيما أجادوا من أداء، فإن غايتهم ومقصدهم لم تتجاوز الإمتاع والاستمتاع، إذ لم يكن لهم مقصد آخر من سرد القصص سوى المتعة الخالصة، فكان التحدي في هذا المضمار الذي يصولون ويجولون فيه، وهو أسلوب السرد، وتحقيق المتعة واللذة عند المستمعين، وهو ما برز في القصص القرآني بصفة عامة، وفي سورة يوسف بصفة خاصة؛ لذلك عدّ المفسرون أسلوب القصص في سورة يوسف صورة من صور إعجاز القرآن من خلال التحدي بالمعارضة[44] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة يونس:38)

4.2 المقصد العقدي:

بالرغم من أن القرآن الكريم حفل بالسرد القصصي وقصد منه إمتاع النفس، وإشباع حاجاتها الفطرية من الترويح والترفيه، فإنه حتما لم يغفل المقصد الأول للقرآن الكريم، ألا وهو الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله، «فالقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة وللنعيم والعذاب، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصلها والأمثال التي يضربها، إلى آخر ما جاء في القرآن من موضوعات.»[45]

وقد مر بنا قول ابن تيمية أن القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث: ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي، وفي الحقيقة ثلث القصص وثلث الأمر والنهي ما هما إلا رافدان للتوحيد، ينطويان تحت لوائه، فقد ربط القرآن الكريم نفسه، بين التوحيد والأوامر والنواهي الشعرية من جهة فقال عز من قائل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة: 5) وربط بين القصص والتوحيد من جهة أخرى فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: 25) وقال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (الزخرف: 45)

فلا تكاد قصة من قصص القرآن تخلو من تناول جانب من جوانب العقيدة، خاصة الصراع بين أهل الإيمان وأهل الكفر، راسمة صورة واقعية لهذا الصراع الفني الواقعي في آن، صراع فني من خلال سرده بأسلوب قصصي شائق، وصراع واقعي لأن أحداثه مستمدة من الواقع، بدون تزييف أو تحريف.

فجاء السرد القصصي مسجلا لجوهر الشرائع السماوية، ومحورها الأول وهو إقرار العبودية لله وحده، والاستدلال على وحدانيته وألوهيته، ومصير من ينكر هذه الألوهية، ويصد عن سبيل دين الله، ويعارض دعوة التوحيد.

جاء هذا التسجيل بدءًا من قصة خلق أول البشر وانتهاء بقصة خاتم الأنبياء ومرورا بجميع الأنبياء عليهم السلام، فيرسم السرد القرآني هذا الصراع الأزلي بين الإنسان والشيطان، منذ خلق آدم عليه السلام، في سرد سريع يطوي الأحداث طيًّا، ولكنه يكثف الدلالات والإشارات، مع التأكيد على ألوهية الله تعالى الذي خلق الإنسان من عدم، فيقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)﴾ (البقرة: 30 – 37)

في هذه الآيات الثماني يبدأ السرد القصصي بإعلام الخالق سبحانه وتعالى لملائكته بأنه سيجعل في الأرض خليفة، وهنا إشارة جلية إلى أن الله تعالى هو خالق الإنسان من عدم، مما يستوجب على هذا الإنسان الاعتراف بخالقه والإقرار بعبوديته، فقد جاء سياق القصة بعد استنكار القرآن على المشركين كفرهم بالله الواحد الأحد، واستشهاده بإحيائهم بعد موتهم، وخلق السموات والأرض وما فيهن على توحيد الربوبية ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29)﴾ (البقرة: 28، 29)

وبالتالي فإن القصة في مجملها استدلال على أن الله واحد أحد، ودليل دامغ على بطلان شرك المشركين، ومع ذلك فإنها تستطرد لتبين لهم سبب الغواية والضلال الذي وقعوا فيه، فما هو إلا نتيجة العداوة الأبدية بين الشيطان والإنسان، ذلك الشيطان الذي أبى واستكبر واتخذ من نفسه عدوًا للإنسان، يتربص به ليقعه في براثن الشرك والضلال ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: 36)

وتأتي خاتمة القصة لتفتح باب الأمل أمام كل عاص يتوب إلى الله تعالى ويرجو رحمته، فتفتح له باب التوبة، والإنابة إلى الله الغفور الرحيم ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)﴾ (البقرة: 37)

وعلى هذا المنوال يسير السرد القرآني للقصة، يهدف إلى ترسيخ عقيدة التوحيد، سواء بالاستدلال على وحدانية الله، أو بعرض الصراع بين الإيمان والكفر مع التأكيد على انتصار المؤمنين، وغلبة الحق على الباطل، «ومن هنا كان جُلّ القصص القرآني يهدف إلى غرس عقيدة التوحيد، ويدعو إلى التصديق بالرسالة المحمدية، وبرسالات الأنبياء قبلها، حتى يعتز المؤمنون بالحق وحده، ويصبروا على الأذى في سبيل إعلاء كلمته.»[46]

وقد عرض سيد قطب أكثر من عشرة أغراض للقصة القرآنية كلها تصب في المقصد العقدي، وبالاصطلاح المقاصدي يجوز أن نطلق عليها مقاصد جزئية، تنطوي تحت المقصد الكلي (العقدي)، نذكرها بإيجاز شديد فيما يلي[47]:

1. إثبات الوحي والرسالة.
2. بيان أن الدين كله من عند الله.
3. بيان أن الدين كله موحد الأساس.
4. بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة.
5. بيان الأصل بين دين محمد ودين إبراهيم بصفة خاصة وبين أديان بني إسرائيل بصفة عامة.
6. بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين، وذلك تثبيت لمحمد صلى الله عليه وسلم.
7. تصديق التبشير والتحذير.
8. بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه.
9. تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم.
10. بيان قدرة الله على الخوارق.
11. بيان عاقبة الطيبة والصلاح وعاقبة الشر والإفساد.
12. بيان الفارق بين الحكمة الإنسانة القريبة العاجلة، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة.

ونستنتج من هذه المقاصد الجزئية أن السرد القصصي في القرآن الكريم عامل مهم في نشر العقيدة، سواء عن طريق تثبيت المؤمنين وتبشيرهم بوعد الله بنصر الحق على الباطل، أو عن طريق تحذير المشركين من عاقبة الجاحدين من الأمم السابقة.

ولقد اتخذ القرآن الكريم من السرد القصصي منطلقا لترسيخ العقيدة، لما تحفل به من قيم جمالية وأدوات فنية تستهوي النفس البشرية، وتثير العواطف، وتَأْثِر الوجدان والروح، فالقصة تمتلك أدوات تعبيرية هائلة ومتنوعة في آن، أدوات تنطلق من لغة ساحرة، وتصوير بارع يمتزج بخيال واسع، يرسم مشاهد الأحداث، ويصور صراع الشخصيات، بسرد خلاب، يسيطر على القلوب، ويسلب العقول، والإنسان بطبعه «مهيأ إلى أن يجذبه ما في القصص من أفكار وخيالات وأحداث وسرد جميل له طلاوته ورونقه التعبيري، مما يجعل القصة أداة فعالة في تشكيل الإنسان وتكوينه تكوينا فكريا ووجدانيا وعقائديا، على نحو مقصود الهدف والغرض»[48]

وبالرغم من أن المقصد العقدي للسرد القصصي حاضر في جميع القصص فإنه لم يؤثر على فنية السرد، وقيمه الجمالية، فقد جاء المقصد العقدي بشكل سلس يسري إلى النفس مع سريان الحكي، ويتغلغل في المشاعر مع تغلغل السرد إلى أذني المتلقي، إذ إن القرآن «في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوَى الذهنية»[49] وهو ما قام به عبر السرد القصصي، فالسرد القرآني للقصة يمزج بين المتعة الفنية والمنفعة الفكرية، ويزاوج بينهما بأسلوب بارع وبلاغة راقية، «ويجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية»[50] وكأن العاطفة تخاطب

العقل، وكأن الفكر يخاطب القلب، فيقف العقل مشدوها أمام جمال التعبير، وتقف العاطفة منبهرة أمام جلال المعنى، ولا تجد النفس البشرية مفرا من التسليم المطلق بما يلقى إليها، والتسليم هو جوهر الإيمان الإسلام.

4.3 المقصد التربوي:

لا ينفك المقصد التربوي عن المقصد العقدي في القرآن الكريم، فالقيم التربوية نتيجة حتمية للعقيدة الإسلامية الصافية، التي تدفع الإنسان بإرادته إلى التخلي عن الفواحش، والتحلي بالأخلاق الكريمة، وهذا السلوك التربوي القويم هو الهدف الأسمى للعقيدة، وقد لخصت هذه العلاقة المتلازمة بين العقيدة والتربية وصية النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لأحد الصحابة: «قُلْ: آمَنْتُ باللهِ ثمَّ استقِمْ»[51] وهو ما يتفق مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: 30) فقد جاء في تفسير النسفي[52] أن المقصود بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) أي نطقوا بالتوحيد، وأن المقصود بقوله: (ثُمَّ اسْتَقامُوا) ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته.

فلا عجب إذن من أن يقيم «القصص القرآني منهجه التربوي التعليمي على أساس العقيدة الصافية فجعلها المنطلق إلى عالم الحس أولا، وعالم الشعور الوجداني ثانية»[53] من خلال إحياء الفطرة السليمة، التي توقظ الإيمان الكامن في النفس البشرية منذ عالم الذر، تلك النفس التي تتشوف إلى أن تكون مطمئنة، بالسعادة الأبدية، والسكينة، والصفاء الروحي، والتي في ذات الوقت تهفو إلى سماع القصص سعيا إلى تطهير النفس من نقائصها، والتحرر من عبودية الهوى والشيطان، التحرر من الخوف من دون الله ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: 81)

هكذا يطهر القرآن بالسرد القصصي النفس وينقلها إلى الأمن النفسي فيغمر القلب بلذة العبودية لله وجميل التوكل عليه، ويملأ العقل بإيمان مفعم باليقين التام والتسليم المطلق، الذي يقود الإنسان إلى التصالح مع النفس والكون والمجتمع، وينعكس على سلوكه وتصرفاته، وإلا كان إيمانه زائفًا ويقينه غير تام.

فالسلوك القويم والأخلاق الفاضلة هي الترجمة العملية للعقيدة، لذا حرص القرآن الكريم على تزكية النفس وتطهيرها ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران: 164)

يلتقي السرد القصصي والقرآن في هذه الغاية، فالأدب بصفة عامة يقصد إلى تطهير نفوس المتلقين بإثارة المشاعر الكامنة من خوف وشفقة، وقد استُخدم (التطهير) غايةً في فنون الأدب منذ أرسطو «والكلمة تشير إلى التنفيس الانفعالي عموما الذي يؤدي إلى تجدد أخلاقي أو معنوي، أو إلى التخلص والتخفُّف من التوتر والقلق.»[54]

فلا غرو أن يوظف القرآن الكريم السرد القصصي للمقاصد التربوية، وذلك لما لها من قدرة على مزج القيم الأخلاقية النبيلة بالقيم الجمالية، مما يضمن أن يرطب جفاف النصح والإرشاد المباشر، فالقصة تتميز بإثارة العواطف واستثارة الفكر دون إلزام أو توجيه قسري، فهي توحي ولا تأمر، فتكون لدى المتلقي ميولا واتجاهات نتيجة تقمصه شخصيات القصة أو تبنيه مواقفها «فعن طريق المشاركة الوجدانية لأحداث القصة وشخصياتها يندمج المستمع أو القارئ مع جو القصة العاطفي حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها فيحب ويكره ويعادي ويتألم وبالتالي يتكون لديه اتجاه بحسب موضوع القصة.»[55]

ولأن القرآن الكريم يبتغي أن يتحلى المرء بجميل الصفات، ويتزين بحسن الأخلاق، قام السرد القصصي بتزيين الفضيلة وتقبيح الرذيلة، كما نرى في قصة لوط عليه السلام، إذ يعالج السرد القصصي قضية من أخطر القضايا التي تزل فيها النفس البشرية، قضية الغريزة الجنسية، يعالجها السرد القصصي علاجًا واقعيا، فيجمل الحلال

ويزينه وفي ذات الوقت يقبح الحرام ويشينه ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (هود: 78) جملة وجيزة تختصر القضية، فعلاج الجنس هو الزواج لا الزنا أو اللواط.

وفي ذات الوقت لا ينساق السرد إلى تفاصيل تثير الغرائز أو تجملها بشكل غير مباشر بالاستطراد والوصف الدقيق، بل على العكس يستطرد السرد في عاقبة من يستسلم لشهواته، وينجر وراء إشباع نزواته، فيبدأ السرد وينتهي بإثارة الخوف والرعب من تلك العاقبة الوخيمة، تبدأ الأحداث من قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ (الحجر: 58) فقد وسمهم السرد القرآني من بدايته بالإجرام، وفي وسط السرد ترتفع وتيرة الخوف والرهبة من خلال حوار لوط عليه السلام مع الملائكة، والذي يصرحون بمهمتهم التي أتوا بها ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (64) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (65) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (66) ﴾ (الحجر: 64 – 66).

ويستمر السرد في وتيرة التصعيد حتى يصل إلى لحظة التنوير عن طريق الحوار بين أهل الفضيلة وأهل الرذيلة، والذي يكشف عن إصرار وعناد أصحاب الشهوات والنزوات، وانغماسهم في فجورهم ومجونهم، إذ أصبحوا يستلذون بالحرام، ويستنكفون عن الحلال ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (67) قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (68) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ (69) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (70) قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (71)﴾ (الحجر: 67 – 71).

فيأتي الحكم السريع ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: 72) الذي يعقبه عقاب سريع، عاجل لا آجل، عقاب يرسمه السرد القرآني في مشهد ترتعد منه الأبدان وتوجل منه القلوب ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (73) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (74)﴾ (الحجر: 73 – 74).

ولقد وظفت لغة السرد الآيات القصيرة، فحبست الأنفاس مع تسارع وتيرة الأحداث، فزاد الخوف والترقب، الذي لم ينتهِ بانتهاء السرد، فصورة القرية التي انقلبت رأسا على عقب ستظل ماثلة في الأذهان، رادعةً للنفس الأمارة بالسوء.

وبذلك يكون السرد القرآني حقق غرضه التربوي، من تهذيب النفس والسمو بها إلى عالم الفضيلة، وحمايتها من التدنيس والوقوع في بئر الرذيلة.

وقصة لوط مجرد مثال على المقصد التربوي، وإلا فإن القصص القرآني مليء بالمقاصد التربوية، التي يصعب استقصاؤها، فالقصة الواحدة تحفل بجملة من المقاصد التربوية والقيم الأخلاقية، فما بالك بجميع القصص القرآني.

5. الخاتمة والتوصيات:

ناقشت هذه الدراسة أهمية السرد القصصي في القرآن الكريم، والوظيفة التي يقوم بها، وذلك من خلال استقراء المقاصد القرآنية للسرد القصصي، فإن القصص القرآني لم يأت عبثا في النص القرآني، ولم يأت للتسلية وتمضية الأوقات، كعادة السرد البشري، وإنما جاء لمقاصد شرعية، تحقق أغراضًا دعوية، وقد توصلت الدراسة إلى أن هذه المقاصد تندرج تحت ثلاثة مقاصد كلية، لا يخرج السرد القصصي عن واحدة أو أكثر منها، وهذه المقاصد هي:

- المقصد الجمالي.
- المقصد العقدي.
- المقصد التربوي.

ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن المقصد الجمالي الفني هدف مقصود للسرد القصصي القرآني، فالسرد الذي يخلو من القيم الجمالية، التي تحقق اللذة المعنوية والمتعة الفنية، هو سرد عقيم، لا يسمن ولا يغني من جوع.

لذا يوصي الباحث المبدعين بصفة عامة، وكتَّاب الرواية والقصة خاصة، أن ينتبهوا له جيدًا فشرف الموضوع لا يغني عن شرف الوسيلة، وجلال المحتوى لا يغني عن جمال البناء، فإن العبارة المكتوبة بخط سيء تنفر منها النفس ولو كانت حكمة ثمينة.

ولقد كشفت الدراسة كيف اهتم القرآن الكريم بهذا المقصد، وكيف أفرد له مقصدا خاصا به، تلبية لاحتياجات الصحابة، وإشباعًا لفطرتهم وميولهم.

وعلى ذات القدر من الأهمية يجب ألا ينغمس القاص أو الكاتب في إشباع احتياجات النفس، دون تهذيبها وتربيتها، فالمقصد الجمالي الخالص الذي يخلو من قيم التربوية والعقدية، مقصد مبتور، لا قيمة له إلا تضييع الوقت وإهداره نحو لذة زائلة لن يبقى لها أثر في النفس ولا في السلوك.

ولقد تبين خلال الدراسة أن السرد القصصي استطاع ببراعة فائقة أن يجمع بين جمال المبنى وجلال المعنى، فاتخذ من السرد القصصي وجمالياته وسيلة لغرس القيم التربوية وتغيير القناعات والأفكار، وهو ما لا يمكن تحقيقه بالوسائل المباشرة، فالنفس بطبيعتها تأبى النصح المباشر، في حين تنساق طواعية نحو عاطفتها ومشاعرها.

وهو ما يشير إلى أهمية الفن والأدب في تغيير القناعات وتربية الفرد والمجتمع، وهو ما يدعونا إلى ضرورة الاهتمام بجانب الأدب والفنون ورعاية الموهوبين ليكونوا رواةً ودعاة، لا رواة فحسب، لاسيما بعد ما يوجه الشباب والمجتمع من غث الأدب ومجون الفنون، فالنفوس تحتاج بفطرتها إلى الترفيه والترويح ويجب أن نوفر لها البديل الهادف، شريطة أن تتحقق فيه القيم الجمالية والمعايير الفنية.

وهو ما اتضح في السرد القصصي في القرآن الكريم شكلا ومضمونا، «فإذا كانت القصة في القرآن الكريم تنطلق من منطلق ديني وعقائدي فإنها وفّت بمتطلبات الفن القصصي وتضمنت خصائصه، وعناصره، وأنواعه وتنوعه وأهم ملامحه.»[56]

فإن انعدام هذه المعايير الفنية والقيم الجمالية في السرد أو في أي عمل فني تُحيله إلى عمل خطابي مثير للشفقة والاشمئزاز، لأنه لم يتصف بسمات الخطابة وجمالياتها، وفي ذات الوقت لم يتسم بضوابط العمل الفني وجماليته، فجاء مسخا مشوها.

لذا يوصي الباحث من يُقدم على الإبداع الأدبي أن يتخذ من منهجية القرآن الكريم في السرد القصصي نبراسًا يحتذي به، في الجمع بين جلال المعنى وجمال المبنى، بين تحقيق المتعة والمنفعة، متعة تسمو بالروح وتهذب النفس، بحيث لا تكون متعة رخيصة تحرك الغرائز وتثير الشهوات.

وبالتوازي يدعو الباحث منظري الأدب ودارسي النقد إلى دراسة النص القرآني في عمومه، والسرد القصصي خصوصًا، ليستنبطوا من لغته وأسلوبه ومضمونه نظريات – ولا أقول نظرية – في الأدب والنقد تتوافق مع اللغة العربية وخصائصها، ومع العقلية الإسلامية ومتطلباتها.

فقد قامت النظريات الغربية على تراث غربي، له سماته وخصائصه المتباينة في جُلها مع الثقافة العربية، المعادية له أحيانا، ومع ذلك فإن الواقع الثقافي العربي يجعل الثقافة الوافدة مصدرًا رئيسيا، ومن التراث الإسلامي والعربي مصدرًا ثانويا، هذا إن لم يستبعده أصلا.

لهذا فإن الأمة تحتاج إلى بناء فكري وثقافي يستلهم النص القرآني والإسلامي، والموروث الثقافي أولا، ثم بعد ذلك يثريه من الثقافات الوافدة التي لا تتعارض مع عقيدته وفكره، ولن يتحقق هذا إلا بجهود المخلصين من الباحثين والدارسين، وإن الباحث ليأمُل أن تنصرف جهود الباحثين إلى دراسة المقاصد الجزئية والخاصة في السرد القصصي في القرآن الكريم، كما يأمل أن تتجه جهودهم إلى دراسة مقاصد السرد القصصي الكلية والجزئية والخاصة في قصص الحديث النبوي، فإنه حقل غض طري يحتاج إلى من يشد عوده.

6. الهوامش:

1. سيد قطب (ت 1386هـ/1966م)، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، 2004، القاهرة، ص144.
2. أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، (ت 728هـ/1328م)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، 2ج، تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، 1998، الرياض، ج2، ص393.
3. انظر: فصل القصة في القرآن، ص144 وما بعدها.
4. صدر عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، سلسلة دعوة الحق، ع59 سنة 1986، ع77 سنة 1988، ع122 سنة 1992
5. رسالة ماجستير، المعهد الوطني للتعليم العالي للغة والأدب العربي، تلمسان – الجزائر، 1988
6. رسالة دكتوراه، جامعة طنطا، 2001
7. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص393.
8. محمد بن مكرم بن منظور، (ت 711هـ/1311م) لسان العرب، 15ج، دار صادر، د. ت، بيروت، مادة (س ر د)، ج3، ص211.
9. جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة: عابد الخزندار، المجلس الأعلى للثقافة، 2003، القاهرة، ص145.
10. مانفرد يان، علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، ترجمة: أماني أبو رحمة، نينوى، 2011، دمشق، ص12.
11. آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات، 2015، بيروت، ص39.
12. حميد لحمداني، بنية النص السردي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991، ص45.
13. إبراهيم الخطيب، نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، مؤسسة الأبحاث العربية، 1982، بيروت، ص189.
14. عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي، المركز الثقافي العربي، 1990، بيروت، ص120.
15. إبراهيم الخطيب، نظرية المنهج الشكلي، ص182.
16. حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص21.
17. مانفرد يان، علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، ص33.
18. جيرالد برنس، المصطلح السردي، ص8.
19. السابق ص5.
20. السابق، ص145.
21. مانفرد يان، علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، ص55.
22. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط 2، 1984م، بيروت، ص 212.
23. مانفرد يان، علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، ص55.
24. ابن منظور، لسان العرب، ق ص ص، ج7، ص74.
25. محمد قطب عبد العال، نظرات في قصص القرآن،3ج، رابطة العالم الإسلامي، 1986، مكة المكرمة، سلسلة دعوة الحق، ع 59، ج1، ص22.
26. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، 3ج، دار الفضيلة، د. ت، القاهرة، ج1، ص96.
27. أحمد بن محمد الفيومي، (ت 770هـ/1368م) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 2ج، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، ط2، القاهرة، مادة (ق ص د)، ج2، ص504.

28 . سميح عبد الوهاب الجندي، أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم، مؤسسة الرسالة ناشرون، 2008، بيروت، ص26.

29. انظر: سميح عبد الوهاب الجندي، أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية، ص26–31.

30 . السابق، ص31.

31 . الموسوعة الفقهية الكويتية، 54ج، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، 1998، ط1، الكويت، ج38، ص329.

32 . أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، ص15.

33 . سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص143.

34 . عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، 2004، القاهرة، ص12.

35 . رنيه وليك، وأوستن وآرن، نظرية الأدب، تعريب: عادل سلامة، دار المريخ، 2004، الرياض، ص45.

36 . السابق، ص46.

37 . الصفحة نفسها، ص46.

38. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، 1993، القاهرة، ص193.

39 . أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، دار الفرقان، 1989، عمّان، ص14.

40 . علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت 468هـ/1095م)، أسباب نزول القرآن، تخريج وتدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، 1992، الدمام، ص269.

41 . السابق، ص270.

42 . محمد الطاهر بن عاشور، (ت 1393هـ/1973م)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، تونس، ج12، ص204.

43 . النيسابوري، أسباب نزول القرآن، ص345.

44 . انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص199.

45 . سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص143.

46 . التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، 1974، تونس، ص144.

47 . انظر فصل القصة في القرآن، ص144 وما بعدها

48 . محمد قطب عبد العال، نظرات في قصص القرآن، ج2، ص7.

49. محمد الغزالي (ت 1416هـ/1996م)، عقيدة المسلم، نهضة مصر، 2003، القاهرة، ص3.

50. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص143.

51. أحمد بن شعيب النسائي (ت 303هـ/915م)، السنن الكبرى، 12ج، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، 2002، بيروت، كتاب التفسير، سورة الأحقاف، ج10، حديث رقم 11425، ص256

52 .عبد الله بن أحمد النسفي (ت 710هـ/1310م)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 3ج، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، 1998، بيروت، ج3، ص235.

53. محمد قطب عبد العال، نظرات في قصص القرآن، ج2، ص56.

54. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، 1986، تونس، ص92.

55 .خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، 2000، المدينة المنورة، ص388.

56 .محمد قطب عبد العال، نظرات في قصص القرآن، ج2، ص6.